جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

علم الآثار والاتجاهات الهدامة فيه ومنهج الإسلام منه

دكتورة/ سميرة عبد الله بكر بناني

كلية الدعوة وأصول الدين – قسم العقيدة

المملكة العربية السعودية- وزارة التعليم العالى – جامعة أم القرى

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

العدد التاسع والعشرون، لعام ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٠/٦١٥٧

(المجلد الثانى)

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد اتفقت جميع رسالات الرسل عليهم صلوات الله تعالى وسلامه على دعوة الناس إلى توحيد الله عزوجل وحده، لا إله غيره، واجتناب الشرك وأسبابه، وهي أكثر من أن تحصى وتذكر

ويبدأ في الغالب باحترام الشيء وتقديره والإعجاب به إلى حد التعظيم، ويزداد شيئاً بعد شيء حتى يصل الأمر إلى تقديسه على غير وجه حق مشروع حتى يصل إلى الهبوط في دركات الوثنية والإلحاد.

ولذا نجد عامة ما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله الكريم فيما يتعلق بالتوحيد، إنما هو في النهي عن أسباب الشرك. وذرائعه كاتخاذ القبور مساجد وما إلى ذلك.

ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان : (علم الآثار والاتجاهات الهدامة فيه) لأساهم ولو بأقل القليل بواجب من واجبات الفرد المسلم في الذب عن عقيدة الإسلام، مما قد يشوبها من آثار سيئة أو أضرار جسيمة ولو كانت بعيدة المدى، مما يحاك حولها من أحابيل شياطين الإنس والجن، ليكون ذريعة لهم، لمواجهتها، وإضعاف قوتها، خارج كيان الأمة الإسلامية، بل وداخلها أيضاً وهو أشد وأنكى.

هذا وقد جاءت خطة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد سبقت.

أما المبحث الأول: فقد كان دراسة تمهيدية عن علم الآثار وصلته بالعقيدة الإسلامية وقد تناول مطلبان وهما :

المطلب الأول: تعريف بعلم الآثار.

المطلب الثاني: أهمية علم الآثار عند أصحابه وصلته بالعقيدة الإسلامية.

أما المبحث الثاني: فقد اشتمل على أبرز الاتجاهات الهدامة في علم الآثار واستلزم ثلاثة مطالب وهي :

المطلب الأول: استبعاد المصادر الإسلامية كوثائق ثابتة للتاريخ البشري وحضارته.

المطلب الثاني: إحياء الوثنيات القديمة لصرف الأمة المسلمة عن دينها.

المطلب الثالث: إحياء القوميات والنزعات العصبية الجاهلية.

المبحث الثالث: وقد استعرضت فيه المنهج الإسلامي في تعظيم الآثار والاهتمام بها.

وتطرق إلى عدة مطالب وهي :

المطلب الأول: التحذير من مشابهة الأمم الماضية في تعظيم الآثار

المطلب الثاني: توجيه الأنظار للاعتبار من مصائر الأمم الكافرة لا يستلزم الدعوة إلى تعظيم الآثار وتقديسها.

المطلب الثالث: الإقتداء بمنهج الصحابة رضوان الله عليهم فى موقفهم من آثار النبي ﷺ، وآثار الأمم الماضية.

الخاتمة: وقد تضمنت أهم نتائج البحث والدراسة.

هذا وأسأل المولى جلت قدرته، أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، وان يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وعوناً للجميع على التمسك بوحدانية المولى عزوجل على الوجه الذي يليق بجلاله وكمال صفاته.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

علم الآثار وصلته بالعقيدة الإسلامية ويتناول مطلبان وهما:

- **المطلب الأول:** التعريف بعلم الآثار
- **المطلب الثاني:** أهمية علم الآثار عند أصحابه وصلته بالعقيدة الإسلامية

المطلب الأول
التعريف بعلم الآثار

التعريف اللغوي:

الآثار: جمع أثر، والأثر بقية الشيء والجمع آثار وأثور، وأصله من أثر مشي الإنسان في الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر، ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر، فالأثر: العلامة المنطبعة مطلقا[١].

التعريف الاصطلاحي عند أصحاب هذا الفن:

لقد اصطلح علماء الأثر على تعريفات كثيرة للآثار ومنها :

١- مخلفات الأبنية والعمائر القديمة، كالبيوت والقصور، والمعابد والتماثيل وما إليها[٢].

٢- ما خلفه السابق للاحق[٣].

٣- الأثر الحقير أو العظيم للصناعة والفن البشريين خلال القرون[٤].

---

[١] انظر لسان العرب : جمال الدين ابن منظور، ج٤ ص٥ – ٩، دار صادر بيروت. مادة أثر.

وانظر القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز آبادي، ج١ ص٣٧٥، المؤسسة العربية للطباعة العربية .

[٢] دائرة المعارف الحديثة: أحمد عطية الله، ج١ ص٢٥، مكتبة الانجلوا المصرية، ط٢، ١٩٧٥م.

[٣] الموسوعة الأثرية العلمية: إشراف ليونارد كوتريل ؛ ص٦، ترجمة د. محمد عبد القادر محمد و د.زكي اسكندر، الهيئة المصرية للكتاب ١٣٧٧م.

[٤] تاريخ علم الآثار: جورج ضو، ترجمة بهيج شعبان ص٧، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.

ومعنى ذلك أنها الأشياء التي صنعها الإنسان واستعملها في مسكنه وأثاثه وأدواته، وخلفها عبر القرون والأجيال لمن لحقه من أفراد البشرية.

تعريف علم الآثار:

يسمى علم الآثار (اركيولوجيا) ويتضمن فكرة دراسة القديم أو العتيق للعصور القديمة من ناحية اشتقاق الكلمة[١].

ومن ناحية الاستعمال فإنه علم خاص يهتم بدراسة مخلفات الناس وأفعالهم، وعباداتهم وأساليب الحياة التي كانوا يعيشونها في العصور الغابرة، وذلك عن طريق أعمال الحفر والتنقيب واستخراج الآثار وتسجيل أوصافها، وترميمها، لاستخدامها في إلقاء أضواء جديدة على الحضارات الإنسانية الماضية، وكيفية تطورها واستنباط التاريخ منها[٢].

نشأة علم الآثار:

يرى أحد الباحثين[٣] في علم الآثار أن وجود عصر النهضة في الغرب ونمو النزعة الإنسانية والإعجاب الشديد بالعصور القديمة، كل هذا كان ملائماً تماماً لنشأة علم الآثار، فبدأ حب الآثار القديمة يسيطر على الإنسان ولكنه تدرج تدرجاً بطيئاً ويمكن تلخيص هذه النشأة في عدة مراحل على نحو ما يلي:

---

[١] نفسه ص٨.

[٢] انظر مدخل إلى علم الآثار: السير ليونارد دولي، ترجمة : د. حسن الباشا مراجعة عبد المنعم أبو بكر ص٥ مقدمة المترجم، الإدارة العامة للثقافة لإدارة التربية والتعليم بمصر.

[٣] انظر الموجز في علم الآثار: د. علي حسن، ص١٨-٢٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، ١٩٩٣ م.

وانظر علم الآثار: د. جمال عبد الهادي، د. وفاء رفعت، ص(١٨ – ٣٢)، دار الشروق، جدة.

١) مرحلة الرحالة والسياح الهواة ولعل أقدمها زيارة العراق ووصف الأطلال المشهورة فيها والتي أثارت اهتمام الأوروبيين، في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، مما أدى إلى تعاقب السياح عليها من حين لآخر حتى أوائل القرن السابع عشر الميلادي.

٢) مرحلة البعثات الاستطلاعية في القرنين الثامن عشر وبداية التاسع عشر من قبل الأكاديميات والمؤسسات العلمية الأوروبية، التي أنحصر همها في استخراج الآثار الكبيرة المختفية، كالتماثيل واللوحات الحجرية المنحوتة، ونقلها إلى متاحف أوروبا، وفي مقدمتها المتحف البريطاني ومتحف اللوفر بباريس.

٣) مرحلة التنقيبات الأثرية العلمية، عندما أوشك القرن التاسع عشر الميلادي على الانتهاء، وقد تميز هذا الطور، بتسجيل الآثار بصورة دقيقة جداً. وتنوع ليشمل دراسة الهياكل العظيمة للحيوانات القديمة.

٤) مرحلة تكوين مصالح للبعثات الأجنبية الآثارية في العالم الإسلامي، التي تجعل الآثار المستخرجة من حق بلدانها، وحق النشر العلمي لمكتشفيها من الأجانب.

وهذا يعني تحليلهم للآثار وقراءة حروفها وترجمتها، واستخلاص مدلولاتها التاريخية، والعقدية والأخلاقية والتعبدية، والاستفادة منها [1].

[1] بتصرف كبير (تعظيم الآثار والمشاهد وأثره في الأمة الإسلامية): ص٢٢١-٢٢٥، عبد العزيز عبد الله الجفير، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، بفرع العقيدة، ١٤١٦هـ.

المطلب الثاني

أهمية علم الآثار عند أصحابه وصلته بالعقيدة الإسلامية

أهمية علم الآثار عند أصحابه :

يزعم أصحاب هذا الفن أن لهذا العلم أهمية كبرى إذ تتوقف عليه مصداقية المعرفة الحقيقية الصحيحة للتاريخ الإنساني فهو واحد من أهم أفرع التاريخ بل وأوثقها كما يقولون :

(ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن علم الآثار أوثق وسيلة لجمع مصادر التاريخ الأصلية التي لا يمكن أن يتطرق الشك إلى أصالتها والاعتماد عليها)[1].

وبمعنى آخر، يأتي علم الآثار في مقدمة الطرق العلمية لجمع مادة التاريخ الأولى، أي المصادر المكتوبة بالخطوط والرموز القديمة، والبقايا المادية كالتماثيل والأبنية والأثاث والنقوش التي رسمت عليها[2].

فكم فتح هذا العلم .كما يرى أصحابه . ميادين كاملة للتاريخ كانت من قبل كتاباً مختوماً. وكم عملت الاكتشافات الأثرية في منطقة أو في أخرى على تعديل في تواريخ ظهور الحضارات القديمة تعديلاً جذرياً، فأعادت تشكيل صور المجتمعات القديمة التي لم تعرف الكتابة، وكم صححت أخبار وروايات خاطئة في التاريخ الإنساني سُجلت عن طريق مؤرخ لم يعاين ويعايش صدق الرواية إلى آخر زين

---

[1] طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار: طه باقرو ود. عبد العزيز حميد، ص ١٣٣، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ١٤٠٠هـ.

[2] نفسه

له ميله هنا وكرهه هناك إلى التحريف فحرف، إلى ثالث اعتمد السماع والتخييل دون التثبيت، وما إلى ذلك. فامتزج التاريخ بالصدق والتشويه والكذب والتخييل[٣].

فلا تقتصر فائدة علم الآثار على رؤية ما كان للأقدمين من براعة في الصناعة ودقة في النحت والنقش، ولكن فائدته الكبرى تظهر في تكوين التاريخ القديم والجمع بين حلقاته[٤] وهذا التكوين والجمع بين حلقات الماضي، لا ينحصر على جمع الآثار والجمود على ذلك، بل يتعين على الباحث بعد جمع الحقائق من مخلفات الحضارات السابقة بث روح الحياة فيها، بالصورة التي تعبر عنها مخيلته في تلك المخلفات[٥].

ويرى القارئ للسطور السابقة مالعلم الآثار من أهمية قصوى تفصح عن مطامح ممثليه والتى يمكن تلخيصها كما يلي :

١- اعتبار علم الآثار أهم فرع للتاريخ لأنه المصدر الأساسي الذي يمد الإنسان بالمعرفة الصحيحة للحضارات المكتوبة أو غير المكتوبة.

وهذا يتضمن إلغاء الوحي الإلهي في تلك المعرفة.

٢- إعادة تشكيل صور بعض المجتمعات القديمة التي أُهملت بعض جوانبها في القرون الغابرة وذلك عبر اجتهاداتهم البشرية.

٣- تصحيح معلومات بعض المؤرخين التي ربما اعتمدوا فيها على وثائق غير صادقة أو غير دقيقة.

وفى هذا تشكيك في المعرفة الإنسانية لتراثها اللغوي.

---

[٣] الآثار الشرقية/ آرنست بايلون، ترجمة مارون الخولي، ص ب، دارجريس، طرابلس، لبنان، ط، ١٩٨٧م.

[٤] دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، ج١ ص٥٩، دار الفكر، بيروت.

[٥] انظر طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار : ص١٢.

٤- إعمال الباحثين الأثريين خيالهم وتصوراتهم في تفسير ما يجدونه أمامهم من مخلفات، مع ما يصحب هذا الخيال من اختلاف في العقائد والأهداف والأغراض والأخلاق مما لا يخفى أثرها البالغ دون شك على تحليلاتهم واستنباطاتهم واستنتاجاتهم

وبالمستطاع القول أن هذه الأهمية لعلم الآثار التي يحاول أغلب أصحابها من غير المسلمين(*) – أن يطمسوا بها معالم الحقيقة الكامنة خلف الأهداف الخفية التي تصوب في طياتها سهاماً ورماحاً مغموسة بسم زعاف للمنهج التاريخي الإسلامي الذي يستند بادئ ذي بدء على أخبار الوحي الإلهي لتاريخ الحياة البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، والآثار الإسلامية المدونة في كتب المسلمين من السيرة النبوية المطهرة وعلوم التاريخ الإنساني.

هذه الأهمية البالغة والقيمة التاريخية السامية، تكشف عوارها وضعفها بعض العوائق والأخطار التي تترصد علم الآثار في ماضيه وحاضره ومستقبله والتي نعرضها في الفقرة القادمة بإذن الله تعالى بشكل موجز.

الأخطار التي تترصد علم الآثار:

الحقيقة أن ليس من دراستنا سرد إحصائيات واسعة لجُل العوائق والأخطار التي تحيط علم الآثار في مصداقية نتائجه واستنباطاته وتلك الأهمية البالغة التي نسجها أصحابه ومحبوهم له.

(*) أغلب الباحثين في علم الآثار من الأجانب الغربيين الذين تتنوع جنسياتهم من كافة أقطار العالم، وعقائدهم من كل المذاهب والأديان المنحرفة.

انظر أسماءهم وعقائدهم وهوياتهم : كتاب (الموجز في علم الآثار): ص١٨.وانظر (المستشرقون : نجيب العقيق، ج١ ص٣٨٨- ٤١٨، ج٢ ص١٦٢ –١٦٨، ج٣ ص٣٤٠ –٣٥١، دار المعارف، القاهرة، ط٤، بدون.

لذا نكتفي بعرض أبرزها، للدلالة على عدم دقته العلمية، وفساد نزاهته وموضوعيته وبالتالي إسقاط تلك الهالة الزائفة لأهميته القصوى :

١) تدخل الأهواء البشرية في علم الآثار فحب الذات والنزعة الوطنية والآراء السياسية تعد جميعاً في عداد العواطف التي تلعب دوراً هاماً في تغيير حقائق الآثار.

فكم يخطئ هواه وعلماء الآثار في أغلب الأحيان بميلهم إلى المغالاة في إبراز قدم مقتنياتهم والأشياء التي وجدوها، لجعلها أصلية، بينما الأكثر احتمالاً أنها أدلة متأخرة، وكم يتدخل حب الذات الإقليمي لإنعاش البحث في سبيل تقديم نتائج حسنة لأمة دون أمة بصورة مقصودة،

وكم يستخدم هذا العلم ذرائع سياسية بتأويلات مغرضة فاسدة لتحقيق مآرب خاصة.

٢) تعدد الأضرار التي تحدثها العناصر الطبيعية[*] عبر تقادم العصور الغابرة على جوهر الحالة الأثرية للمخلفات، مما لا يعطي صورة صحيحة صادقة عنها.

٣) الأثر البالغ للتنقيبات السرية في مدى تغير الحقائق الواقعية المتصلة بالآثار، فمن يعثر على شيء قديم سواء بالصدفة أم بغيرها، فإنه إما أن يخربه قبل بيعه، أو يبقي مصدر حصوله عليه سرياً، وبالتالي حين يصل الشيء من خلال عدة وسطاء إلى جامع الآثار أو إلى المتاحف، فإنه يكون مجرداً من كل هوية، أو مزوداً بهوية كاذبة وهذا أكثر خطورة[١].

---

[*] كالماء، الجليد، الشمس، رطوبة التربة، الملح، الرياح البحرية، الهزات الأرضية، الطوفان، وغيرها.

[١] بتصرف كبير (تاريخ علم الآثار): ص١٠٨ – ١١٥.

٤) انخداع جامعي وباحثي الآثار كثيراً بتجارة المزيفات والعاديات التي تقذف للسوق تقليدات ممتازة لبعض الأثريات التي تصنع بمهارة حاذقة، تزداد مع تقدم التقنية الأكثر عصرية، بنجاح باهر، مما اضطر أغلب المتاحف الأثرية إلى اللجوء لعرض قسم من الآثار المزيفة للتحذير منها.

فهذه بعض العوائق لا كلها مما يحيق بمصداقية المعارف المستنبطة من علم الآثار والتي تهدم الزعم الباطل بتلك الأهمية له التي لا يعلوها شيء كما يزعمون. وهذه وغيرها تضع علامات استفهام أمام نتائج هذا العلم ويجعلها احتمالية لا قطعية؛ بل تشكك فى مصداقيتها.

استغناء المسلمين عن علم الآثار:

مر بنا سابقاً من أهداف علم الآثار المصرح بها، معرفة التاريخ ومعرفة تطور الإنسان وعقائده، وتطور الحضارات وخط سيرها، للبناء عليها، لمعرفة أسباب انهيار الحضارات القديمة أو قوتها، والاستفادة من ذلك، وبالرغم من الأخطار والعوائق التي تترصد به وتحول دون مصداقيته وتخرق الهالة التي حوله، فالحقيقة أن الله عزوجل أغنى المسلمين عن الاستفادة من تلك الآثار لمعرفة التاريخ البشري بمنحته العظمى في إنزال هذا الكتاب الخالد على مر العصور فيه خبر ما مضى، وهدي ما نحن فيه، وإشراقة المستقبل لمن سار على نهجه واتبع هداه.

كما أن سيرة النبي محمد ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين وأولئك القادة، والفاتحين والعلماء الأفذاذ، في شتى العلوم على فترات تاريخ المسلمين، لهي كافية لإمدادهم بكل ما يحتاجونه من السير والأخلاق والقوة على الصبر والمثابرة، فما للمسلمين ولسير صناديد الكفر والطغيان حاجةً، في إظهار آثارهم وبقاياهم.

فملوك الفراعنة وغيرهم، ليسوا قدوة المسلمين، كأولئك العظماء الذين سبقونا بالإيمان لنصرة الدين، وما قص علينا سبحانه وتعالى قصص العتاة المستكبرين

المفسدين منهم، إلا عبرة وعظة للمعتبرين وهذه العبرة لا ينالها الإنسان إلا بمعرفة ما هم عليه من الزبد الحضاري والكفر الطاغي الذي كان سبباً لهلاكهم وتدميرهم[١].

أما معرفة تطور الإنسان فقد أخبرنا الخلاق العليم عن خلق الإنسان، لا تطوره كما تزعم نظرية النشوء والتطور الداروينية[٢].

فقال سبحانه وتعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ{٧} ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ{٨} ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ السجدة : آية ٧. ٩ .

ولقد قامت الدلائل والبراهين العلمية والدينية على إثبات تهافت ذلك الزعم بالتطور البشري الداروينى عبر القرون[٣].

وكذا معرفة كل ما يتصل بالإنسان في عقائده، وتطور حضاراته، وأسباب انهيارها أو قوتها، وكل ما يشيد به علماء الآثار من أهمية لها, قد احتوته واشتملت عليه عقيدة الإسلام وعلومه، في كافة المجالات، من العمل للدنيا والآخرة، في توازن متكامل بين جوانب الحياة الإنسانية المختلفة، كالدينية والحضارية والسياسية والاقتصادية وغيرها، فتسير كلها متوازية متوازنة في آن واحد[٤].

---

[١] انظر تعظيم الآثار : ص٢٩٩ –٣٠٠.

[٢] انظر الإنسان والكون : د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص١١٤، عالم المعرفة، جدة، ط، ١٤٠٣هـ.

[٣] انظر نفسه : ص١١٤– ١٢٣.

[٤] انظر خصائص الدعوة الإسلامية : محمد أمين حسن ص٢٢٩ – ٣٣٤، مكتبة المنار، الأردن ط، عام ١٤٠٣هـ.

وإذا كان واقع المسلمون اليوم قد ضعف وارتكس ويكاد يهوي إلى الحضيض، فليس منبع ذلك خواء هذه العقيدة الإيمانية وفقدان فعاليتها وعالميتها وشمولها(*) بأي حال من الأحوال، إنما يكمن السر في أن هذه العقيدة لا تعمل إلا بجهد ما يبذله البشر في ذات أنفسهم وواقع حياتهم.

قال تعالى : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾ الرعد: ١١. فتلك سنة ربانية لا سبيل إلى تغيرها، بغير اتخاذ الأسباب المؤدية إلى ذلك، بمراجعة مواقفهم من ربهم ومن عقيدته التي ارتضاها لهم، فلا حاجة لأن يتخبطوا ذات اليمين وذات الشمال كالذي يتخبطه الشيطان من المس. بحثاً ولهثاً وراء علوم الغرب وثقافاتها الإلحادية، والشركية كعلم الآثار والتشدق به.

صلة علم الآثار بالعقيدة الإسلامية

يقول الله سبحانه وتعالى مخبراً عن عدوه إبليس عليه اللعنة، لما سأله عن امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام أنه قال: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ الأعراف: ١٦.

فذكر ابن القيم رحمه الله أن السبل التي يسلكها الإنسان أربعة لا غير على يمينه، وشماله، وأمامه، وخلفه، فأي سبيل سلكها من هذه وجد الشيطان عليها رصداً له فإن سلكها لمعصية، وجده خادماً ومعيناً وممنياً له فيها، وإن سلكها في طاعة، ثبطه عنها وأعاقه وأبطأه، وكاد له فيها(١) ثم ذكر رحمه الله من مكايده

(*) انظر نفسه ص١٩٩ –١٠٢، الشبهات التي أثارها المستشرقين حول ذلك والرد عليهم.

(١) بتصرف (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)ابن قيم الجوزيه، ص١٠٢ –١٠٤، دار المعرفة بيروت.

التي توعد بها أنه يورد الإنسان الموارد التي يخيل إليه، أن فيها منفعته، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه، ويتخلى عنه ويسلمه ويضحك منه، ومن أعظم ما جاء في ذلك–وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته–ما أوحاه قديماً وحديثاً من الفتنة بالقبور، وتصوير أربابها، ثم تجسيدها واتخاذها أوثاناً حتى يؤول الأمر إلى عبادتها.

ومن هنا تواترت النصوص الشرعية في النهي والتغليظ عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد، فإنها من أعظم المحدثات وأسباب الشرك [٢].

ونبش الآثار وإحياء الوثنيات، وتعظيمها بالتصاغر أمام مكانتها وقيمتها التاريخية، بداية الخضوع والانكسار والتذلل والتقديس لها، الذي يُعد عبادة قلبية لها على وجه الحقيقة ما يغضب لأجلها كل من في قلبه وقار لله تعالى وغيرة على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك، لما في ذلك من محاداة لله تعالى ورسوله ومناقضة شرعه الحكيم.

فنصوص كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين، وجميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان تخالف ذلك[*].

ولذا فإن دراسة هذا الموضوع، هو من باب سد الذرائع الموصلة إلى الشرك بالله تعالى، وإحياء سنن الجاهلية، ومن ابتغى في الإسلام سنة جاهلية فهو من أبغض الخلق إلى الله عزوجل[٣]. فمن اليقين أن رسالات جميع الرسل عليهم

---

[٢] بتصرف نفسه : ص١٠٨ – ١٨٣.

[*] كما سنقف على بيانه بإذن الله تعالى خلال مباحث هذه الدراسة.

[٣] انظر اقتضاء الصراط المستقيم : شيخ الاسلام ابن تيمية، ج١ ص٧٥ –٨٠، تحقيق د. ناصر العقل، مكتبة الرشد، ط٥ عام ١٤١٧هـ.

صلوات الله وسلامه، الدعوة لعبادة الله تعالى وحده، وحماية هذا التوحيد من أي بذور أو جراثيم للشرك والوثنية.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ النحل: ٣٦

فلا يصح بأي مجال أو طريق أن ينفذ ولو على المدى البعيد، فضلاً عن المدى القريب، ليعارض أصل التوحيد وكماله.

مما يحرص الشيطان على أن يوقع الإنسان فيه، بتزيين المنافع وإخفاء الأعطاب، ليفوز بوعده الذي يسعى لأجله من كل صوب وحدب.

المبحث الثاني
أبرز الاتجاهات الهدامة في علم الآثار

ويستلزم ثلاثة مطالب وهي :

- **المطلب الأول:** استبعاد المصادر الإسلامية كوثائق ثابتة للتاريخ البشري وحضارته .
- **المطلب الثاني:** إحياء الوثنيات القديمة لصرف الأمة عن دينها وطمس معالم خط التوحيد.
- **المطلب الثالث:** الدعوة إلى نشوء القوميات والنزعات العصبية.

المطلب الأول
استبعاد المصادر الإسلامية كوثائق ثابتة للتاريخ البشري وحضارته.

تتركز كافة الأبحاث والتنقيبات الأثرية على الجانب المادي منها، بعيداً عن تحقيق أي من القيم الإنسانية الإيمانية سواء عن قصد أو عن غير قصد، ناسين أو متناسين أن وراء هذا الإبداع المادي قوة الخالق جلت قدرته التي هيأت للبشرية القدرة على هذا الإبداع، والبقاء، للحصول عليه بعد آلاف السنين الغابرة.

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل لقد أُتخذ هذا الحقل من الدراسات الأثرية البشرية كستار حاجز يخفي العمل والسعي الحثيث ضد الإسلام والمسلمين، لا يلتقي من قريب أو من بعيد مع الأهداف الإسلامية لعمارة الأرض وخلافتها على نحو المنهج الرباني الذي رسمه المولى سبحانه وتعالى في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فعلم الآثار وتحليلاته، لا يلتزم بالمصادر الإسلامية ولا يسترشد بمناهجها في دراسة وتحليلات ونتائج تاريخ البشرية ومدنياتها وحضاراتها السابقة، منذ خلق الله عزوجل آدم عليه السلام إلى أن يرث الأرض ومن عليها، بل الأدهى من ذلك ما يسعى إليه الغرب الحاقد سعياً حثيثاً من التشكيك والطعن فيهما، فلم تقم أغلب دراسات الإستشراق والمستشرقين للإسلام على النوايا الحسنة والطيبة فحسب، بل عمدت مزج الحق بالباطل، لئلا يُعبأ بالباطل إزاء الحق الذي تتضمنه، فيعمل أقل شيء من الكذب والباطل، على هدم أكبر الحقائق وأعظم المستندات الإلهية لتاريخ الحياة البشرية[1]، ويشهد بذلك تصفح كتب ما يسمى تاريخ وآثار الشرق القديم، فإن المصادر متعددة، وكلها موضع الاعتبار ما عدا القرآن الكريم والسنة النبوية

---

[1] انظر الإسلام والمستشرقين: تأليف نخبة من العلماء المسلمين، ص٧، عالم المعرفة، جدة، ط ١، ١٤٠٥هـ.

وكتب التراث الإسلامي. أي أنهم يعتمدون على أقوال مؤرخي الإغريق، والرومان ونصوص العهد القديم والجديد المحرفة(*)، ولا يوضع في الاعتبار شيء من آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية المطهرة، لأنهما في موضع الرفض وعدم الثقة(١).

فقد دأبت أغلب جهود المستشرقين العلمية رغم الاعتراف بفضلهم وعلمهم في بعض الجوانب، دأبت على البحث والغوص عن مواطن الضعف في الشريعة الإسلامية والحضارة والتاريخ الإسلامي، وتمثيلها في صورة مروعة مضخمة، إنهم ينظرون إليها عن طريق (المجهر) ويعرضونها للقراء حتى يروا الذرة جبلاً، والنقطة بحراً، فشأنهم شأن مفتشي الأوساخ والمياه المصرفة، في البلديات وأمانات العواصم، في تقريراتهم التي يرفعونها إلى الجهات المختصة، مما لا يجد القارئ فيها بطبيعة الحال إلا الحديث عن العفونات والأوساخ(٢) وقد ظهر من حذاقتهم وذكائهم في كثير من أبحاثهم وكتاباتهم في تشويه صورة الإسلام لاستبعاد مصادره، ما أثار في قلوب كثير من أبناء العالم الإسلامي وزعمائه – ممن تثقفوا على أيديهم في مراكز الغرب الثقافية الكبرى، أو درسوا الإسلام بلغات العرب، اما أثار شبهات فاسدة حول الإسلام، والمصادر الإسلامية، فأصبحت هتافاتهم مليئة باليأس من مستقبل الإسلام، ومقت حاضره، وسوء الظن بماضيه(٣)، فأخذ

(*) أي الكتاب المقدس الذي يدين اليهود بالعهد القديم منه (التوراة والأسفار الملحقة بها) ويدين النصارى بالعهد الجديد منه (الأناجيل والرسائل الملحقة بها) وأغلبها محرفة مبدلة والمؤلفات التي تكشف عن ذلك كثيرة.

(١) انظر علم الآثار : ص٣٠.

(٢) انظر الإسلام والمستشرقين : ص١٠.

(٣) نفسه ص١٠.

نشاطهم وحماسهم يتركز على ضرورة الاهتمام بتطوير الدين وإصلاح قوانينه وشرائعه، ومبادئه وعقائده العتيقة، كما يدعون، فزعموا بجهلهم وغبائهم أن هذا الدين وان صلح قبل ذلك لفترة معينة من الزمان، ولنوعية خاصة من الإنسان، فهو عاجز اليوم عن أن يرتقي بالحضارة أمام هذا التقدم، والمدنية العصرية[1]، هذا لأن القرآن الكريم بزعمهم من صنع الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم نقله وانتحله عن الديانة اليهودية والنصرانية، وأن الحديث النبوي من صنع الصحابة والتابعين، وأئمة المذاهب، وأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني وغيره.

وأن محمداً رسول الله ﷺ مجرد مبشر، وليس أسوة حسنة لأن فيه ضعف الإنسان وعيوبه، كما أن الإسلام لم يوحد العرب، ولم يجمع قبائلهم المتفرقة على عبادة واحدة، وإنما تم ذلك بعد تفوق المسلمين العسكري أيام دولة الخلافة[2]، وما إلى ذلك من الافتراءات والأباطيل التي يريدون أن يهدموا بها كل ما جاء به الشرع الحكيم، في كافة الجوانب التي تشمل حياة الكائن البشري فرداً وجماعات وأمة ودولاً.

قال تعالى : ﴿**مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً**﴾ الكهف: ٥

ويطول هذا البحث كثيراً لو دونا ردود بعض كتابنا المسلمين على هذه المفتريات المذكورة[*] ولكن نكتفي بالقول :

---

[1] انظر الولاء لدين الله : سيد سعيد عبد الغني ص٨١ –٨٢، دار طيبة الخضراء، مكة، ط، ١٤١٩هـ.

[2] ص١١٦ – ١١٩.

[*] انظر (الإسلام والمستشرقين) في تفنيد هذه الشبهات والردود عليها وكتاب (دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين)للشيخ محمد الغزالي وكتاب (مع المفسرين والكتاب) للأستاذ محمد أحمد جمال وغيرها كثير.

بأن هذا التكذيب والتشكيك وهذا الصد، ليس بغريب على هؤلاء ولا على أمثالهم في قافلة الكفر ومعسكر العصيان، وحزب التمرد، فما جاءوا به من الافتراءات والأباطيل ليسوا بدعاً من الأمم، بل سبقهم إليه أمم من الذين ضلوا وأضلوا، ومن الذين زاغوا عن الحق واتبعوا الشهوات وخطوات الشيطان، فما من رسول أرسله الله تعالى، وما من كتاب انزله المولى تبارك وتعالى، إلا وُجد من يكذب به، ومن يفتري عليه، ومن يحاربه موالاة للكفر والشرك والنفاق، وبراءة من الإيمان، والتوحيد وهروباً من الإسلام ومحاداة لله ولرسوله، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ البقرة : آية ١١٨.

كما قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَـذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ**{٧٦} **قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾ يونس : آية ٧٦-٧٧.

وكيف لا وآيات الله تعالى تظهر على أيدي علماء الآثار أكثر من غيرهم، وكلها دلائل وقرائن تؤكد أن مصادر الإسلام وحي رباني ثابت لا يتغير أبد الدهر، كالوثائق البشرية التي كثيراً ما تغيرها العواطف البشرية والعوامل الطبيعة كما مر بنا آنفاً.

وهذه نماذج من الآثار ومواقفهم منها تدل على تشكيكهم واستقصائهم لمصادر الشرع الإسلامي، عناداً منهم وتمرداً وجحوداً نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر :

١- النصوص المصرية القديمة التي تتعلق بالعقائد الدينية منذ آلاف السنين، تثبت إيماناً بالبعث والحساب والجنة والنار، وأن مكونات الإنسان جسد وروح، ورغم ذلك كله لم نر أحداً من علماء الآثار ذكر في مؤلفه أن هذه الحقائق لا

يمكن أن يصل إليها الفكر البشري من تلقاء نفسه، وأن ذلك دليل على توحيد منهج إلهي أبلغه رسل الله إلى البشرية، وأشار إليه القرآن الكريم في حديثه عن قصة رسول الله موسى عليه السلام لأولئك الفراعنة، بل الأنكى أن علماء الآثار يذهبون إلى ماهو ابعد من ذلك، بقولهم أن هذا الفكر الإيماني إنما جاء نتيجة بزوغ الضمير الإنساني، وكتبوا كتباً وعنونوها بذلك، وترجمها بعض أبناء العربية دون أن يعلقوا عليها بأي إضافة أو تقرير[1].

فهذا استبعاد لحقيقة ما جاء به القرآن الكريم، من الوحي الإلهي في هذا الصدد من جانب، وادعاء بتطور عقيدة التوحيد نتيجة تطور الفكر والضمير البشري من جانب آخر، لطمس معالم خط التوحيد، الذي قارن بداية الخلافة البشرية على وجه الأرض[*].

٢- مدائن صالح (آثار الحجر) وهي في الأصل مساكن قوم صالح عليه السلام التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية للاتعاظ والعبرة بما حل بأصحابها، يحاول علماء الآثار الحاليين من غير المسلمين طمس وجه الحق الذي تعكسه تلك الآثار، بزعمهم أنها ليست إلا جبانة كانت تستعمل للدفن، لكي ينفوا عنها صفة المسكن التي أخبر عنها القرآن الكريم والسنة النبوية، كما زعموا أن المقبورين فيها من بقايا العماليق أو اليهود، أو الهكسوس، وأنهم ليسوا ثمود الذين استخلفهم الله تعالى بعد عاد مما قصه علينا في كتابه المجيد [1].

---

[1] انظر علم الآثار : ص٢٦.

[*] سنقف على هذا الهدف الذي يرمي إليه علماء الآثار في المطلب الثاني إن شاء الله تعالى.

[1] بتصرف نفسه : ص٦١.

ولا شك أن حملة التشكيك هذه في مدائن صالح تستهدف الطعن وعدم الثقة بأخبار المصادر الإسلامية كوثائق تاريخية لهذه الآثار وغيرها.

٣- القرائن الأثرية الدالة على الطوفان الذي حل بقوم نوح عليه السلام في بلاد العراق، مما كشف عنها الحفر والتنقيب، بعضها قرائن مادية كالطبقات الطميية السطحية التي اختلط فيها كثير من القواقع والأسماك النهرية وتوجد أسفل منها طبقات أسفرت عن مخلفات بشرية تدل على حياة بشرية قبل أن تعلوها الطبقات الطميية التي نشأت عن الطوفان الكاسح الذي اهلك الحرث والنسل، والبعض الآخر قرائن فكرية من الأدب السومري والأدب البابلي، التي تروي قصة الطوفان والرجل الصالح الذي كان سبباً في الحفاظ على سلالة البشر، والحيوانات والنباتات منه، وكلها قرائن أكد القرآن الكريم عليها في قصة نوح عليه السلام لكن علماء الآثار، لم يحاولوا ربط تلك القرائن لا من قريب ولا من بعيد بالحقائق التي أوردها القرآن الكريم والتي تؤكد أخباره بالمغيبات من تاريخ الأمم السابقة كوحي إلهي، بل على العكس من ذلك، راحوا يطمسون معالم هذا الوحي الإلهي، بزعمهم أن القرآن الكريم نقل أحداث هذه القصة عن الآداب العراقية القديمة فليس الدين إلا اختراع العقل البشري، ومصادره وكتبه التي أنزلها الله تعالى على رسله الكرام ليست إلا صدى وانعكاس لأفعال هؤلاء الرسل وأفكارهم [٢].

فهذه بعض النماذج والآثار التي لم يعوها ويدركوا الحق منها لأن الله عزوجل طمس على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم فهم لا يؤمنون. يقول سبحانه وتعالى : ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ الجاثية : آية ٢٣.

(٢) بتصرف نفسه : ص٩١ –٩٥.

فهذه حال البشرية الآثمة التي لا تريد إلا اتباع الشهوات وما تهوى الأنفس، للتفلت من أحكام الدين ونوره المبين : ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ الشعراء : آية ٢٢٧.

المطلب الثاني
إحياء الوثنيات القديمة لصرف ولاء الأمة المسلمة عن دينها وطمس معالم خط التوحيد

يتعرض الدين الإسلامي لهجوم عنيف، وحملات شرسة من أعدائه المجرمين من اليهود والنصارى والكفرة والملحدين، للتشكيك فيه وصد الناس عنه، بل وصرف أبنائه عنه وإغوائهم وإضلالهم عن طريق الطعن في عقائده، وتاريخه وقيمه ومبادئه وشرعيته.

وذلك لأنهم وجدوا الطريق المسلح والاحتلال العسكري طريقاً معقداً، ومسلكاً صعباً، لما يخسرونه فيه من المال والأنفس. علاوة على ما تيقنوا منه من غيرة المسلم على دينه، ودفاعه عنه بكل ما يملك من الغالي والنفيس، خاصة لو كانت الحرب تحت شعار العقيدة، لذا لجئوا إلى محاولات خداعه، بطرق ووسائل ملتوية كمن يدس السم في الدسم، من حيث لا يشعر الطاعمون الآمنون. فدخلوا له بثوب جديد، عن طريق الحضارة والمدنية الفكرية. والنضوج العقلي، بتمجيد هذا العلم الحضاري لأهمية الآثار التاريخية، وأنها أساس الحضارات العالمية، قديماً وحديثاً ومركز الفخر والعظمة[١] ليتحقق لهم إحياء الوثنيات القديمة[٢] وتسليط الأضواء على التقدم العلمي الحضاري الذي أحرزته الأمم السابقة رغم اتخاذها أرباباً من دون الله تعالى.

ليصلوا بذلك إلى ما كانوا يرجونه من التفات المسلمين لهذه الآثار وعنايتهم بها وغيرتهم عليها، فيتحول ولاء[*] المسلمين من كونه للدين الإسلامي وعقائده ومبادئه وتاريخه، إلى تلك الآثار الوثنية الشركية الجاهلية.

---

[١] كما مر بنا سابقاً في بيان أهمية هذا العلم عند أصحابه.

[٢] من أبرز الأمثلة على ذلك كتاب (قصة الحضارة): ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب، محمد بدران.

[*] للتعرف على معان الولاء والبراء في اللغة والاصطلاح: انظر كتاب الولاء والبراء في الإسلام : محمد سعيد القحطاني ص٨٧، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٠٩هـ.

فما حال كل من وقف أمام هذه الآثار الوثنية محملقاً فيها مشدوداً إليها باسم الفن، وتصاغر أمام عظمتها، وتشدق بها، إلا كحال المشركين مع أوثانهم، في تقديسهم وتعظيمهم إياها في قلوبهم، وان لم يعبدها هؤلاء بجوارحهم، فتعود البشرية بذلك إلى وثنيتها الجاهلية قبل الإسلام.

ومتى امتلأ القلب بعظمة غير الله تعالى، انصرف ولاؤه عن الله تعالى وتلبس بنصرة ومحبة ما سواه، والذي هو نقيض صميم التوحيد ومفرق الطريق بين الكفر والإيمان، ودين الشرك والوحدانية .

يقول تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾ البقرة : آية ١٦٥.

ويتحفنا الأستاذ/ سيد قطب في تفسيره هذه الآية قائلاً :(كانوا على عهد المخاطبين بهذا القرآن أحجاراً أو أشجاراً أو نجوماً وكواكب، أو ملائكة وشياطين، وهم في كل عهد من عهود الجاهلية أشياء أو أشخاص أو إشارات أو اعتبارات، وكلها شرك خفي أو ظاهر إذا ذكرت إلى جانب اسم الله، وإذا أشركها المرء في قلبه مع حب الله، فكيف إذا نزع حب الله من قلبه وأفرد هذه الأنداد بالحب الذي لا يكون إلا لله)[1].

وما تقديس الآثار وتعظيمها في عصرنا الحالي إلا إشارات واعتبارات لهذا الحب القلبي لغير الله تعالى.

فنبش القبور والأرض لاستخراج الآثار وإظهارها وإحياؤها والاعتزاز بها والافتخار بمآثرها، جسر من الموالاة والمحبة التي أراد الغرب إقحام المسلمين فيه، وإقامته بين الإسلام والوثنية القديمة بقصد صرف ولاء المسلمين عن دينهم

[1] في ظلال القرآن: ج١ ص١٤٨، الطبعة المشروعة، دار الشروق.

ومبادئهم واتخاذ الكافرين وبقاياهم من أوثان وأصنام، أولياء يحبونهم ويعتزون ويفاخرون بهم.

قال تعالى : ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ الأنفال: آية ٣٠.

فلقد فاحت بعض العبارات الصريحة حيناً والتي تلمح حيناً آخر، بأهداف أغلب الآثريين من تنقيباتهم وأبحاثهم، في صرف ولاء المسلم إلى تلك الوثنيات، ليكون حبه للآثار، ولمن يشتركون معه فيها، من نصراني وملحد وكافر باعتبار أنها آثارهم جميعاً، فيواليهم رغم فارق الدين بينهم.

يقول أحد المستشرقين الآثريين : (إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال، أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات)[٢]

فهذه بواعثهم ودوافعهم سواء صريحة كانت أو خفية، تسعى جاهدة لزعزعة ولاء المسلمين عن عقيدتهم وتاريخهم المجيد من ناحية، لإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى[١].

فيفقد المسلمون ولاءهم لدينهم، وبراءتهم من أعدائه، ويرتموا في أحضان المدينة الغربية وحضاراتها، ليتم بعدها بكل سهولة إخضاع الدول الاستعمارية المسلمين خضوعاً لا تقوم لهم بعده قائمة [١].

---

[٢] انظر واقعنا المعاصر: محمد قطب ص٢٠٢، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

[١] بتصرف (أضواء على الاستشراق) : د. محمد عبد الفتاح عليان ص٤٣، دار البحوث العلمية، القاهرة، ط٤، ١٤٠٠هـ.

فكثير من فئات علمائهم، الذين لا يسأمون من الزعم بأنهم يتحرون الدقة العلمية والمنهجية الموضوعية، في تحليلاتهم واستنباطاتهم في دراساتهم للآثار وربطها بماضيها، لا يهاجمون الإسلام إلا من أطراف خفية، وكثيراً ما تنطلي مزاعمهم تلك على الكثير من المسلمين، بينما تهاجم فئات أخرى منهم، الإسلام والمسلمين هجوماً لا مواربة فيه ولا خداع، فلا يلجئون إلى دس السم في العسل مثلما يفعل علماء الفئة السابقة، وإنما تنضح أقلامهم في نتائج أبحاثهم وتحليلاتهم للآثار المكتشفة، بالحقد الدفين والانحراف عن الحقيقة الناصعة، لتحقيق أهدافهم ومطامعهم علانية دون خفاء[٢].

ولقد هدد الله سبحانه وتعالى وحذر وتوعد كل من فضل وآثر أي شيء مهما كان، بالحب والولاء على هذا الدين وعقائده، مهما كانت منزلته ومهما كانت قرابته، ومهما كانت الأسباب والمبررات. فمن يفعل ذلك، فقد جرح إيمانه، وأخل توحيده، وزلزل عقيدته وتعرض لغضب ربه وانتقام مولاه.

قال تعالى : ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ التوبة: آية ٢٤

فإن من أصول العقيدة الإسلامية موالاة المسلم لأهل التوحيد والإخلاص لهم، وبراءته وبغضه أهل الإشراك ومعاداتهم، ومعاداة بقاياهم وآثارهم،لا المفاخرة والتباهي بحضاراتهم الوثنية، كالفرعونية والآشورية والكلدانية والطورانية والفينيقية وغيرها، وإيثارها بتقديمها على محبة الإسلام وهيمنته على القلوب، بأمجاد مزعومة

---

[١] نفسه.

[٢] نفسه : ص٤٦، ٤٧.

لوثنيات شركية جاهلية، بحجة أنها مظهر الحضارات العريقة وأمجاد الأمم الغابرة لأجدادنا من البشر عبر التاريخ.

هذا إذا أضفنا جانباً آخر خطيراً من أهدافهم المغرضة الحاقدة يلوح عن بعد في هذا الصدد، وهو محاولة طمس معالم خط التوحيد الذي خلق الله عزوجل عليه العباد. وجاءت به رسالات جميع الرسل عليهم السلام لتدعيم الزعم بالقول ببداية التعدد الوثني، ثم الارتقاء إلى الثنوية حتى الوصول إلى التوحيد في نهاية المطاف.

فالدين ما هو إلا ثمرة الفكر البشري[١]، تطور بتطوره حتى وصل إلى التوحيد، ولم يكن قط وحياً من عند الله وإنما كان اجتهاداً من البشر، فقد ارتقى من عبادة الطواطم والأرواح والنجوم والكواكب إلى عبادة الله تعالى الواحد، تطور وترقى بتطور وترقي الفكر البشري والتجربة والأنظمة السياسية وانتهائها إلى الأوضاع الموحدة تحت سلطان واحد[٢]. كما ذهب إلى ذلك "أوجست كونت" ومن جاء بعده من علماء تاريخ الأديان.

وهكذا تترابط الأهداف من جانب لجانب لتصب جميعها في بوتقة الحقد والعداء لشأن الإسلام العظيم. ونكتفي بهذه الإشارة السريعة، فليس من اهتمامنا في هذه الدراسة الموجزة، تفصيل القول فيها بيد أنه يمكن إجماله بالإشارة إلى أن الفارق

---

[١] من الكتب التي تنبت هذا الهدف على سبيل المثال لا الحصر :

[٢] (تطور الفكر والدين في مصر القديمة) جيمس هنري بريستند، تعريب زكي موسى، القاهرة. (ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها) أدولف أرمان، تعريب د. عبد المنعم أبو بكر و د. محمد انور شكري، القاهرة، ١٩٥٢م، و (قصة الحضارة) ول ديوارنت، ترجمة ممد سالم، والحضارات السامية القديمة): العقاد، القاهرة. و(حضارة العرب): جوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر. نقلاً عن علم الآثار : ص٢٤ –٢٥.

شاسع بين الحقيقة في عقيدة الإسلام في تقريرها بداية مسيرة التوحيد عبر القرون البشرية الغابرة، رغم الانحرافات التي أصابتها بين الحين والحين، مما كشفت عنه هذه الآثار من التماثيل والأوثان، الفارق شاسع بينها وبين موجات الهدم والخراب، في نعيق الغرب ودعواته الهدامة والتي تختفي تارة عبر طيات أبحاثهم ودراساتهم اللغوية في السجلات الإسلامية المدونة، وتنقشع تارة أخرى في ثوب الحضارة التاريخية الأثرية وبقاياها، بأبحاث مادية حسية. ونستنير ختاماً في الرد على ذلك بقوله عز من قائل : ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ الأنبياء : آية ٩٢.

فموكب الإيمان في التاريخ البشري موكب واحد، يقوده رسل الله الكرام عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه، داعين بحقيقة واحدة، لربوبية واحدة وألوهية واحدة، فلا يُعبد غيره، ولا يُتوكل على غيره، ولا يُلجأ إلى ملجأ سواه، هذه هي الحقيقة، لم تتبدل ولا في رسالة واحدة من الرسالات السماوية التي قصها علينا الحكيم الخبير ويجمعها قول الله تعالى : ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ آل عمران : آية ١٩.

المطلب الثالث
الدعوة إلى نشوء القوميات والنزعات العصبية

إذا ألقينا نظرة سريعة على تاريخ البشرية قديماً قبل الإسلام، وما طرأ عليه من تغييرات في ظله وتحت منهاجه، تبين لنا سر التسلط والمحاولات التي تتبناها طواغيت الغرب حالياً لتحقيق إحياء العصبيات الإقليمية القديمة في الدراسات الأثرية المزعومة.

ففي بلاد العراق كان السومريون فالأكديون فالبابليون ثم الأشوريون وفي مصر كانت الأسرات الفرعونية، وفي إيران كان الميديون فالفرس... الخ وفي بلاد الشام كان الكنعانيون، والآموريون والآراميون... الخ وفي آسيا الصغرى كان الحيثيون، وقد كانت كل من هذه القوى تسعى بالقوة المسلحة إلى بسط نفوذها السياسي والاقتصادي والاجتماعي على غيرها من الأمم. لتسخير مواردها لخدمة أغراضها، فكان التطاحن والصدام، والظلم والبغي بغير الحق، والويل والشقاء الذي عانت منه البشرية على مدار تاريخها الطويل، وعلى الجانب المقابل للشرق الأدنى القديم كان الأوربيون (اليونانيون والرومان) الذين أخضعوا لسطوتهم شمال أفريقيا ومصر، وبلاد الشام (سوريا وفلسطين) وبلاد العراق، وإيران وآسيا الصغرى... الخ ونهبوا ثرواتهم لمصالحهم، حتى قيض الله عزوجل أن يخرج النور من شبه الجزيرة العربية من مكة المكرمة برسالة سيدنا محمد ﷺ فاستضاءت البشرية بعد ظلامها الحالك، وجللت حياتها، فانهارت طواغيت الفرس والروم ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وذابت القوميات والعصبيات وحلت محلها الوحدة الإسلامية، وأخوة العقيدة[1].

فالتقت الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات وشعوباً، في العقيدة في الإيمان بوحدانية الله تعالى وحده دون شريك قبل أن تلتقي على الأرض واللغة والجنس

[1] بتصرف علم الآثار.

والمصالح والآثار. والتي جعلت المسلم ينتقل في بلاد العالم الإسلامي من المحيط إلى المحيط فلا يحس بالغربة في أي بلد من بلاد المسلمين فالناس سواسية كأسنان المشط، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ الحجرات: آية ١٣. فهذه من أبرز الإيجابيات الواقعية التي تنشأت عن هذه العقيدة الإسلامية داخل المجتمع المسلم، وكلها نابع من تلك الانطلاقة الضخمة التي أنطلقها المسلمون بعد أن تشبعوا بالعقيدة الإيمانية وتوجيهاتها وتطبيقاتها السلوكية العملية.

لكن محاولات أعداء الإسلام الذين لا يزالون يلهثون خلف قافلة الإسلام، للنيل منه، عقدوا الهمة على تفتيت هذه الأمة المسلمة وهذا الصف الإسلامي الموحد، فتغلغلوا في كل الميادين، سالكين جميع السبل لتحقيق هذا المطمع القاصي.

وكان من بين ما اعتمدوه من الأساليب، نشر الاهتمام بالآثار القديمة الفرعونية والفارسية والسريانية والعربية والكلدانية وغيرها. وتوجيهها لتدعيم عصبيات إقليمية، تتسم بالغلو والإسراف في الدعوة إلى حصر الانتباه في أوطان صغيرة،وعدم الاكتراث بما يجري خارجها، لتصبح الأمة الإسلامية مفككة العرى، بعيدة عن توجيه حياتها بالمنهج الرباني يقول المستشرق موروبيرجر : (إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، إذ تجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوتهم، لأن قوة العرب تتصاحب مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره)[١]

[١] أفيقوا أيها الناس وانظروا ماذا يراد بكم: أحمد الشريف ص٣٥، مكتبة الصحابة، جدة.

وهذا الكلام صادق لأن الغرب يعرف الإسلام حق المعرفة فمن ذلك قولهم : (الحق أن الإسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات، إنه أعظم من ذلك كثيراً، هو مدنية كاملة)[٢].

فأخذوا يبثون سمومهم في نفوس ضعاف المسلمين والسذج ويغرسون فى قلوب العملاء منهم، حب الغرب ونصرته وموالاته، واستحسان اعتناق القومية العلمانية والنعرات العصبية الجاهلية، فعملوا على بعث التاريخ السابق على الإسلام في كل بلد من البلدان الإسلامية : (والذي حدث هو أن عالم الآثار الغربي في كل دولة من تلك الدول، قد ساعد في إعداد قانون خاص بالآثار للبلد الإسلامي، الذي يعمل فيه، وأصبح مستشاراً لموظف وطني عين من حكومته مديراً لمصلحة الآثار)[٣].

وهذا يعني أن الآثار تُعد أكبر رافدٍ ومغذٍ للقوميات الوطنية في بلاد المسلمين، وأن عملها أكبر معول هدم وتمزيق وتفتيت وإضعاف للوحدة الإسلامية والعالم الإسلامي، فكلما قويت واشتدت عواطف المسلم للوطن[١]، كلما ضعف بناء المجتمع المسلم[٢] فهي الغاية من تلوين الحياة المحلية في كل بلد من البلاد الإسلامية بلون خاص به. يستند في مقوماته إلى أصول الجاهلية الأولى وبذلك

---

[٢] وجهة الإسلام (نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي) تأليف : هـ. أ. ر. جب، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ص٩، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ط، ١٣٥٣هـ.

[٣] الإسلام والحضارة العربية: د. محمد حسن ص١٥٧، دار الرسالة السعودية، مكة، ط٩، ١٤١٣هـ. والكلام منقول عن د. كون ولسون.

[١] وحب الوطن ليس مخالفا للإسلام وقد كان النبى ﷺ يقول عن مكة "والله إنك لأحب بلاد الله إلى..." وإنما الوطنية بالمعنى الذى يشيعة القرب ويريد به التفرقة بين المسلمين على أساسه.

[٢] انظر وجهة الإسلام : ص٣٩.

تعود الحياة الاجتماعية التي وحد الإسلام مظاهرها إلى الفرقة والانشقاق برجوعها إلى أصولها القديمة السابقة على الإسلام، فيستريح المستغلون من احتمال تكتل المستعبدين، ثم تكون هذه المدنيات الحديثة في بلاد الإسلام أكثر قبولاً، لأصول المدنية الغربية، ويكون كل شعب من هذه الشعوب أطوع لما يراد حمله عليه من صداقات، بعد أن تتفكك عرى الأخوة الإسلامية[١].

ولا أصدق ولا أدل على ذلك من صداقات غالبية حكومات العالم الإسلامي لطغاة الغرب الفاجر، في واقعنا المشهود، والمغالطات التي تتعارض مع ديننا الإسلامي الحنيف، من أن هذه الأفكار والعلوم المادية الأثرية لا تمنع أن يكون المسلم قومياً أو علمانياً أو اشتراكياً وما إلى ذلك[٢].

ويغلب الظن أن أكثر الوسائل التي سنأتي على أبرزها من الأساليب التي أشار بها الغرب، لدعاتهم من ضعاف الإيمان في البلاد الإسلامية لتوطيد وتدعيم النعرات الجاهلية،ومسخ المسلمين حتى يصبحوا بمنأى لا أمل للرجوع منه إلى توحيد صفوفهم، فمن ذلك[٣]:

١- المتاحف والمعاهد الآثارية التي تعرض الآثار الخاصة بكل بلد،والتي تخرج الآثاريين الذين يشتغلون بنبش الآثار واستخراجها وتعريف السياح لها على أنها أمجاد قومية وطنية.

٢- تشجيع تأليف الكتب ونشرها التي تضم الإشارة إلى المواقع الأثرية الوطنية، وما يتخللها من الإشارة والتقدير لها، وأنها كنوز تراثية غالية تركها الأجداد للأحفاد أمجاداً راقية عظيمة.

---

[١] انظر الإسلام والحضارة الغربية : ص١٥٧ –١٥٨.

[٢] انظر الولاء والبراء في الإسلام : ص٤٢٠ .

[٣] بتصرف كبير (تعظيم الآثار والمشاهد): ص٣١٢ –٣٣٦.

٣- الإعلام المرئي والمسموع وما يطرحه من الندوات والمناقشات في أهمية الآثار المحلية الخاصة بكل بلد، كشواهد وأدلة على إبراز عظمة حضارة هذا القطر دون غيره.

٤- الميادين وأماكن تجمع الناس التي تعرض التماثيل والأشياء الأثرية داخل ساحات البلدان وعند مداخلها لإبرازها كمعلم من المعالم السياحية الوطنية التي يجب على أفرادها الإشادة بمآثرها ومفاخرها المختصة بها دون غيرها من الأقطار الأخرى في البلدان الإسلامية.

٥- الشعارات الآثارية الدالة على الآثار الجاهلية الوطنية، بوضعها على كثير من الأشياء التي لها مساس بالناس، كالطوابع والأعلام الخاصة بكل بلد من تراثه الشعبي في معتقداته وحكاياته وخرافاته وأساطيره.

٦- المهرجانات الشعبية بكل ما تشمله مما أمكن إدراكه من الزمن الماضي لبلد ما، كالأبنية والأثاث والأدوات والأواني وما إلى ذلك، والتي تحرص على أن تجعل الإسلام جزءاً من الموروث التاريخي الشعبي وتابعاً له، الذي هو ملك للأجيال ورثوه عن الآباء والأجداد، فيصبح الإسلام قضية تراثية قومية، يمكن الأخذ به أو ببعضه أو تركه على الإطلاق، فهو نتاج الماضي العريق، وهذا هو الدرس الموحي به ضمناً وتلميحاً، لا تصريحاً لطامة المهرجانات الشعبية بكافة ألوانها وأشكالها والتي تحتاج إلى تضافر الجهود لكشف الستار عنها، وعما تلحقه من الأذى العقائدي والقومي بالأمة الإسلامية.

ومن ذلك **على سبيل المثال** : عرض حلقات تعليم القرآن الكريم في أطراف المساجد قديماً، بشكل مضحك مزري، في عرض العادات المتبعة في التدريس والملابس التي يرتديها التلاميذ، والتأديب على حفظه. مما يوحي بالاحتقار والسخرية لهذا التراث الموروث. في حفظ هذا الكتاب العظيم الذي تقوم عليه عقيدة المسلمين.

فلا بد من التيقظ والتنبه لخطورة هذا الأمر المشين، فتعلم كتاب الله عزوجل ليس أثراً من آثار الناس ولا عادة من عاداتهم، فلا يليق عرضه بهذه الصورة المزرية المضحكة، فهذا حال نظم البشر والقوانين الوضعية، لا حال وحي الله تعالى الحاكم والمهيمن على الناس، وما يملكون وما يدركون في كل شأن من شئون حياتهم دنيا ودين.

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً**﴾ النساء: آية ٦٠.

وختاماً نقول لعله بدى جلياً كيف يرسخ علم الآثار ترسيخاً علمياً عواطف القومية ونفوذها، بصورة عاتية في نفوس ومشاعر الناس، وتبعيتهم لأوطانهم، بأساليب براقة ناعمة الملمس، حتى أنه ليصعب التصديق بإقامة وحدة الأمة الإسلامية من جديد، بعد ظهور شتى ألوان وأشكال الفوارق القومية الشاسعة بين أفراد الأمة الإسلامية وجماعاتها في البلدان الإسلامية والعربية، بل وفي الأقليات المحلية الوطنية بين كل مقاطعة أو منطقة وأخرى في البلد الواحد .

(وإنا لله وإنا وإليه راجعون)

المبحث الثالث
المنهج الإسلامي في تعظيم الآثار والاهتمام بها

ويتطرق لعدة مطالب وهي :

- **المطلب الأول:** التحذير من مشابهة الأمم الماضية في تعظيم الآثار.
- **المطلب الثاني:** توجيه الأنظار للاعتبار من مصائر الأمم الكافرة لا يلزم منه الدعوة إلى تعظيم الآثار وتقديسها.
- **المطلب الثالث:** الاقتداء بمنهج الصحابة رضوان الله عليهم في موقفهم من آثار النبي ﷺ وآثار الأمم الماضية.

المطلب الأول
التحذير من مشابهة الأمم الماضية في تعظيم الآثار

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تزخران بتواتر النصوص الصريحة في النهي عن التشبه بكفار الأمم الماضية واتباع سننهم، الصادرة عن إعجاب وإحساس بتفوقهم، المفضية إلى التقارب معهم واتباعهم فيها، وقد خصصت الكثير منها في النهي والتغليظ عما يصدر من اعتقاداتهم الباطلة وأفكارهم الفاسدة وسننهم الغابرة التي جرتهم إلى الوقوع في مهاوي الشرك والكفر والإلحاد. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من تشبه بقوم فهو منهم)[1] ومن أخطر الاعتقادات اتخاذهم آثار الأنبياء والصالحين ونحوها مزارات ومشاهد والتبرك بها واتخاذها أعياداً، وتقديس الموتى وقبورهم والبناء عليها، وتخصيص النذور لها والذبح عندها والتسمح بها وشد الرحال إليها، ودعاء أصحابها من دون الله تعالى.

ونعرض فيما يلي بعض الأمثلة التي أوقعت بسببها الكثير من الأقوام السابقة في الشرك بسبب تعظيمهم للآثار وتقديسها، مع التعقيب عليها بما جاء من الأمر بمخالفتها على وجه العموم :

١ـ تعظيم قوم نوح عليه السلام لآثار صالحيهم.

يقول الله سبحانه وتعالى عن قوم نوح عليه السلام : ﴿ **وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً** ﴾ سورة نوح : آية ٢٤.

وقد بين المفسرون رحمهم الله تعالى كيف وصل الحال بقوم نوح عليه السلام من جراء تعظيم الآثار التي كانت أول أمرها تذكاراً لصور قوم صالحين محبوبين حتى تحولت بالتدريج إلى طلب البركة منها، ثم نما تقديسها وتعظيمها بزينة

---

[1] سنن أبي داود – كتاب اللباس – باب في لبس الشهرة رقم الحديث (٤٠٣١)ج٤ ص٣١٤.

الشيطان، فصارت آلهة لهم من دون الله تعالى. يقول الإمام الطبري في تفسيره الآية الكريمة : (كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم)[1]

فهذه بداية عبادة الأصنام، وأسبابها تعظيم ما لم يعظمه الله عزوجل من الآثار واتباع الهوى وما تميل إليه الأنفس في غير ما هو مشروع.

ولاشك أن نصب التماثيل التذكارية يزرع في نفوس العامة من البشر الانبهار بها وحبها وتعظيمها ومن ثم تقديسها والتبرك المذموم بها، كالتذلل والخضوع والرجاء والمحبة، والرهبة والرغبة أي صرف عبادات لا تجوز لغير الله تعالى وهو نوع من أنواع الشرك بالله تعالى.

٢ـ تعلق اليهود بآثار المعبودات الوثنية، أدى إلى عبادتهم لها :

يظهر ذلك من تعلقهم بآلهة مصر الفرعونية فلقد مكث اليهود في مصر أزماناً طويلة، وهم يرون أصحابها يعبدون الأصنام والتماثيل من العجول وغيرها، فلما أخرجهم المولى جلت قدرته منها، ظهرت عليهم آثار الوثنية التي رسخت بأذهانهم، فتحركت مشاعرهم نحو تقليدهم في عباداتهم، وغلبت على وحدانيتهم لله تعالى فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً مجسداً، يعبدونه كآلهة أولئك القوم الوثنيين كما أخبرنا بذلك المولى عزوجل في قوله: ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ**

---

[1] جامع البيان في تأويل أي القرآن: محمد بن جرير الطبري، ج٩ ص٩٩ مكتبة البابلي الحلبي، القاهرة، ط٣، ١٣٨٨هـ.

وانظر فتح الباري: أو حجر العسقلاني، ج٨ ص٥٣٠ ما ذكره في هؤلاء الرجال الصالحين.

الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف: آية ١٣٨.

وبين لهم بطلان ما كان القوم عليه من تلك العبادات ونهاهم عنها كما يقول سبحانه :﴿ **إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ الأعراف: آية ١٣٩

لكن آثار هذا التعلق والإعجاب والتعظيم، ظهر مرة أخرى رغم نهيه عليه السلام لهم، وذلك عندما ذهب لميقات ربه، فقد قاموا بصنع عجل من الذهب جسداً له خوار وزعموا أنه إلههم وإله موسى عليه السلام عبدوه من دون الله تعالى.

قال تعالى : ﴿ **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ**﴾ الأعراف : آية ١٤٨.

ثم تابوا فتاب الله عليهم، لكن ذلك لم يدحر هذا الأصل والتعلق الشركي من نفوسهم الذي ظل مستمراً في الظهور طول فترات عصورهم القديمة ومجاورتهم للأمم الوثنية.

فالقارئ لتاريخهم يجد مدى شغفهم وعكوفهم على عبادة الأصنام والتماثيل وبناء الهياكل والمعابد لها. والتي احتل وثن العجل فيها مكاناً بارزاً [1].

ونصوص أسفارهم تصرح بذلك في مواضع عديدة ومنها : (وعاد بنوا إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون

---

[1] وكان مما عبدوا مع العجل البعيلم وعشتاروت والسواري وبعل بريث وعجلون ملك موآب وآلهته آرام وصيدون وبني عمون وغيرها.

انظر جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزيه في دحض مفتريات اليهود : سميرة بناني ص (٩٩- ١٠٩) رسالة ما جستير جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط، ١٤١٨هـ .

وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه)[١] فظهر أثر تعلقهم بتلك الآثار الوثنية في ترديهم من سموا الوحدانية التي دعاهم إليها رسول الله موسى عليه السلام إلى الشرك بالله تعالى وهو لا يزال حياً يرزق بينهم.

ثم أخذ هذا التعلق الشركي في نفوسهم يظهر بلون آخر في اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد للعبادة من دون الله تعالى.كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٢] يتسمحون عندها ويطلبون البركات والغفران، ولا أظهر ولا أدل على ذلك من مواقفهم اليوم في حياتنا المعاصرة في تعلقهم وتقديسهم لآثار العديد من الأضرحة والمزارات لأنبياء الله تعلى وحاخاماتهم المتناثرة في بعض دول العالم التي يقصدونها للعبادة والتبرك بها ومنها :

قبر إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة وابنه يعقوب الذين يزعمون أنهم مدفونين بقبو تحت مسجد الخليل عليه السلام بفلسطين، وقبر راحييل أم يوسف عليه السلام على الطريق بين المقدس وبيت لحم بفلسطين أيضاً، وقبر العزيز بالعراق، وقبر الربدي بن عمرا أم أحد حاخاماتهم بالمغرب، وأضرحة أخرى ومزارات عديدة في بولندا ولتوانيا وغيرها مما يقصدها اليهود من مختلف أقطار العالم للدعاء عندها والتذلل والخضوع[٣].

والغاية أن هؤلاء القوم جمعوا بين فتنتين، فتنة التماثيل وفتنة القبور وما ذاك إلا لتعلقهم بالآثار وتعظيمها فتردوا من سمو التوحيد لأحط دركات الشرك بالله تعالى.

٣ـ غلو النصارى في المسيح عليه السلام وآثاره :

---

[١] سفر القضاة : ١٠ : ٦.

[٢] رواه البخارى فتح البارى: ج١ ص٦٣٤.

[٣] انظر تعظيم الآثار : ص١٠.

ويظهر ذلك في غلوهم بادي ذي بدء في شخص المسيح عليه السلام، والزعم بفكرة التثليث بتأليهه مع الله سبحانه وتعالى وروح القدس، أو تأليهه مع الله وأمه، والتي يرجع سببها إذا أمعنا النظر إلى – الوثنيات الضاربة في القدم – لدى أكثر الأمم البائدة التي تقوم أشهر تعاليمها على اللاهوت الثلاثي. وتغلغلها في الديانة النصرانية[1]. فالقارئ لعقيدة النصارى المحرفة يجد التشابه كبيراً جداً بين أديان الوثنيين ووثنية تثليث النصارى التي تمثلها تماثيل المسيح عليه السلام وأمه وصورة حمامة وسط دائرة من نورٍ، رمز روح القدس المنتشرة في الكنائس النصرانية على مر العصور[2]. والتي كان أول أمرها احترامها وتعظيمها لا عبادتها كما جاء في قراراتهم : (إنا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة والملابس الكهنوتية فقط، بل في البيوت وعلى الجدران في الطرقات لأننا إن أطلقنا مشاهدة يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسل وسائر القديسيين في صورهم شعرنا بالميل الشديد، إلى التفكير فيهم والتكريم لهم فيجب أن تؤدي التحية والإكرام لهذه الصور لا العبادة)[1] ثم استخدم الرهبان الحيل فجروا العوام لتقديسها وعبادتها بالتبرك بها ودعائها من دون الله تعالى، ومازالت هذه حالهم حتى هذا

---

[1] مثل وثنيات الهند، البوذيون، المصريون القدماء، اليونانيون القدماء، الرومانيون الوثنيون، الأشوريون والفنيقيون، التتر، المكسيكيون، الهندوس، الكنديون. فهؤلاء جميعهم وغيرهم آخرون عبدوا آلهة مثلثة الأقانيم.

انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر التيز، تعليق محمد الشيباني ص٣٨ – ٤٥ مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط، ١٤٠٨هـ، وانظر أيضاً النصرانية من التوحيد إلى التثليث: د. محمد أحمد الحاج ص١١١، دار القلم دمشق، سوريا، ط، ١٤١٣هـ.

[2] انظر النصرانية من التوحيد إلى التثليث : ص١٤٧ – ١٤٨.

(1) محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة، ص١٤٤ –١٤٥، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون.

اليوم[1] ثم أخذ غلو النصارى في المسيح عليه السلام لوناً آخر وذلك بتقديس بعض آثاره، كشارة الصليب الوثنية التي كانت في بدايتها أداة تذكير للتضحية الكبيرة التي قام بها المسيح عليه السلام من أجل البشرية كما يزعمون، ثم انتهى الأمر بأن صار الصليب يدعى ويناجي ويعبد من دون الله تعالى.

ومن ذلك قولهم: (السلام عليك أيها الصليب خلص هذا الجمهور المجتمع اليوم لتقديسك، أيها الصليب الذي أتى بالخلاص للأشقياء)[2].

فالصليب أثر من الآثار المقدسة في تحريفات هؤلاء القوم، تطورت مكانته من أداة ذكرى.

حتى صار إلهاً يعد من دون الله تعالى لكل فرد نصراني، فالذي لا يرسم الصليب على وجهه أو لا يقبله منهم يعد مرتدا عن النصرانية بحسب قراراتهم المزعومة [3].

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة ما يدل على غلوهم هذا في المسيح عليه السلام وما جرهم إليه من الكفر بالله تعالى والبهتان الفاحش.

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ المائدة : آية ٧٣.

وقال تعالى : ﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً{١٥٦} وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ**

---

(1) انظر المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام : د. محمد وصفي ص١٣٥، دار الفضية، ط، ١٤١٥هـ.

(2) المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام : ص١٢٢.

(3) نفسه : ص ١٢١.

يَقِيناً{١٥٧} بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ النساء : آية ١٥٦-١٥٨

وقد ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنسية رأينها بالحبشة فيها تصاوير، لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)[١]

وخلاصة القول أن تلك النماذج السابقة وأمثالها كثير[*] مما ورد في تعظيم الأمم الماضية لآثار أنبيائهم وصالحيهم في قبورهم واتخاذ الصور والتماثيل لهم، ليؤكد القول بأن الاهتمام بالآثار وإعطاءها عناية خاصة مما لا يجوز في الإسلام. فهو إما شرك أو ذريعة إلى الشرك بالله تعالى.

ولهذا حذرنا الشارع الحكيم من مشابهتهم واتباع سنتهم في تعظيمهم للآثار، مغبة أن نقع فيما وقعوا فيه. قال تعالى :﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ البقرة : آية ١٤٥.

المطلب الثاني
توجيه الأنظار للاعتبار من مصائر الأمم السابقة لا يستلزم الدعوة إلى تعظيم الآثار وتقديسها

---

(١) رواه مسلم بشرح النووي : ج٥ ص١٤.

(*) ومن ذلك قوله تعالى فيهم : ﴿ **أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ التوبة : آية ٧٠. فهؤلاء ظلموا أنفسهم بالخروج عن عبادة الله تعالى والتوغل في الشرك وأسبابه.

لقد أمر الله عزوجل الكفار المكذبين لرسالة سيدنا محمد ﷺ بالسير في الأرض والنظر في خلق الله سبحانه وتعالى، بعيون، مفتوحة وآذان مدركة وعقول واعية، لمشاهدة مصارع ومخلفات الأمم الوثنية الجاهلية، التي رفضت الإسلام عقيدة وشريعة للاتعاظ والاعتبار بما حدث لأولئك المشركين بالله تعالى الرافضين لدينه، السابقين لهم , لئلا يحيق بهم ما حاق بغيرهم. وهذه الحقيقة وضحها الله عزوجل في القرآن الكريم في أكثر من موضع ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ يوسف : آية ١٠٩.

وقال تعالى : ﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى{١٢٧} أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى**﴾ طه : آية ١٢٧-١٢٨.

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ النحل : آية ٣٦.

فهذه الآيات وأمثالها أمر بالسير والنظر في بقايا الأمم السابقة وآثارهم للتفكر والاعتبار بمصارعهم وهلاكهم لا للإطلاع على كنوزهم ومعبوداتهم وعمل المزارات لبقاياهم, مما يتضمن الإشارة إلى شدة خطورة الاهتمام والمحافظة والتقديس لتلك الآثار السابقة للأمم الجاحدة وبقاياهم من المعبودات والتماثيل. بدليل أن الشارع الحكيم نهانا عن البقاء بديار الأمم الغابرة التي هلكت، وأمرنا إذا مررنا بآثارها أن نكون مسرعين باكين، لا أن نعدها من التراث الثمين والأمجاد العظيمة التي نتفاخر بها ونتكتل حولها , فقد ورد أن عبد الله بن عمر رضي الله

عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ لأصحاب الحِجْر[١][*] (لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم)[٢]وعن أبي سعيد الخدري قال:(رأيت رجلاً جاء بخاتم وجده بالحِجْر في بيوت المعذبين فأعرض عنه النبي ﷺ واستتر بيده أن ينظر إليه وقال:ألقه فألقاه)[٣].

كما ورد أن صحابة رسول الله ﷺ امتثلوا لتوجيهات رسول الله ﷺ في هذا الأمر وما كانوا ليخالفوه في أمر قط فقد جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه حين قدم الشام صنع له رجل من النصارى طعاماً وكان من عظمائهم وقال : أحب أن تجيئني وتكرمني فقال له عمر : إنا لا ندخل كنائسكم من أجل الصور التي فيها يعني التماثيل)[٤].

---

[١] أي في شأنهم انظر شرح صحيح مسلم : ج٨ ص٣٢١.

[*] تقع آثار (الحجر) بوادي القرى بين الحجاز والشام وتعرف الآن (بمدائن صالح) وقد مر بها النبي ﷺ في غزوة تبوك. وقد حكى لنا الله عزوجل أخبار قوم ثمود وأصحاب هذه الآثار في القرآن الكريم في سورة هود الآيات ٦١ –٦٨.

[٢] رواه مسلم بشرح النووي : ج٨ ص٣٢١ وانظر صحيح البخاري فتح الباري : ج١ ص٦٣١.

[٣] فتح الباري : ج١ ص٦٣٢.

[٤] صحيح البخاري، فتح الباري : ج١ ص٦٣٣.

وعن علي ﷺ قال : (ما كنت لأصلي في أرض خسف الله بها ثلاثاً (مراراً) (**))[1] فهذه مواقف النبي ﷺ من آثار الأمم السابقين وهذا هديه وتوجيهاته بعدم دخولها والبقاء فيها إلا في حالة إسراع وبكاء على ما أصابهم خشية الإصابة بمثل ما أصيبوا من سخط الله تعالى عليهم وغضبه.

وهذه مواقف الصحابة رضوان الله عليهم في أماكن آثار المشركين كلها تدل على اقتدائهم بهدية عليه الصلاة والسلام، فيتعين بهذا على جميع المسلمين التمسك بسنته ﷺ وسنة أصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين في عدم الاهتمام بالآثار القديمة وزيارتها والتشدق بها فما الأضرحة والآثار الحضارية القديمة إلا جزء كبير من تماثيل وأوثان لآدميين أو حيوانات[2] يقصد الآثاريون بالتنقيب في إحياء تاريخها والفخر بمجدها ونشر عاداتها وإيضاح معتقداتها وتتبع وثنياتها.

(**) أي كررها ثلاث مرات : انظر نفس المصدر السابق والصفحة.

(1) فتح الباري : ج١ ص٦٣١.

(2) إقرأ في آثار شبه الجزيرة العربية من ص٥٨ – ٦٤، وبعض الأمثلة المختارة من آثار مصر، ص٦٨ –٨٤، وبعض الأمثلة المختارة من بلاد العراق القديم، ص٩١ –١٠٣، في كتاب علم الآثار وجميعها نماذج من آثار المجتمعات الشاردة عن الهدي الإلهي.

المطلب الثالث

الاقتداء بمنهج الصحابة فى موقفهم من آثار النبيﷺ وآثار الأمم السابقة

أولاً : موقف الصحابة رضوان الله عليهم من ذات النبي ﷺ وآثاره في أثناء حياته

لا شك أن ذات الرسول ﷺ ذات مباركة، جعل الله سبحانه وتعالى فيها بركة خاصة به والصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يعرفون ذلك.

١- فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت إن النبي ﷺ : (كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عنه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها)[١].

فعرفت عائشة رضي الله عنها بركة يد الرسول عليه الصلاة والسلام ومسحت بها على ذات الرسول ﷺ وقد أقرها على ذلك ولم يقل لها لا فرق بين يدي ويدك.

وهذا مما يدل على اختصاصه ببركة خاصة به، وهذه البركة تنتقل بإذن الله تعالى إلى المتبرك المؤمن بأنها من عند الله تعالى.

٢- عن السائب بن يزيد قال : (ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله : إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة[*])[٢]

---

[١] صحيح البخاري، فتح الباري : ١٠ ص١٦٦.

[*] (الحجلة واحدة الحجال وهي بيت كالقبة لها أزار كبار وعرى) انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ج٨ ص١٥.

[٢] صحيح مسلم بشرح النووي : ج٨ ص١٥.

٣- ومن ذلك أيضاً ما ذكره البخاري في صحيحه من حديث صلح الحديبية وفيه : (... ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال : فو الله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يُحدون إليه النظر تعظيماً له)[١].

٤- وعن مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال:أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ بقدح من ماء وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة فيه شعر من شعر النبي ﷺ وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة)[٢]

والمراد أن أم سلمة رضي الله عنها كانت إذا اشتكى أحد أرسل إليها إناء، فتجعل تلك الشعرات وتغسلها فيه وتعيده فيشربه صاحب الإناء أو يغتسل به استشفاء بها[٣]..

فكل هذه الأحاديث وغيرها كثير تدل على أن ذات الرسول ﷺ وما انفصل من جسده من شعر وعرق ولباس وما استعمله من الأواني والآثار، قد جعل الله فيه من البركة ما يستشفى به، ويرجى بسببه الفائدة في الدنيا والآخرة والواهب لها هو الله سبحانه وتعالى.

وأن هذا التبرك من الصحابة بذات الرسول ﷺ وآثاره، إنما لاعتقادهم أنه سبب للبركة لا أنه هو واهب البركة، كما يتداوى الناس بالأدوية والرقي بسبب طلب الشفاء وليس لأنها هي واهبة الشفاء لأن الشافي هو الله عزوجل[٤].

---

[١] صحيح البخاري : ج٣ ص١٨٠.
[٢] صحيح البخاري فتح الباري : ج١٠ ص٣٦٤.
[٣] فتح الباري : ج١٠ ص٣٦٥.
[٤] انظر التبرك المشروع والتبرك الممنوع : د. علي العلياني ص١٦ –٢٨، دار الوطن للنشر، ط، ١٤١١هـ.

وقد ثبت أن آثاره ﷺ من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين، وعليه فان التبرك بها في زماننا هذا يصبح أمراً نظرياً محضاً لا ينبغي إطالة القول فيه[1].

ثانياً: موقف الصحابة من آثار النبي بعد وفاته

أما التبرك بأماكن الرسول ﷺ ومقاماته التي كان يقصدها بعد البعثة بالعبادة عندها، كتقبيل الحجر الأسود[2]، واتخاذ مقام إبراهيم مصلى، ووقوفه بعرفة، وصلاته في مسجد قباء، فإن الصحابة رضوان الله عليهم اتبعوا عمل رسول الله فعملوا مثله، بقصد التعبد لله تعالى واتباع الرسول ﷺ، لا بقصد عبادتها والتوجه لها.

وأما ما كان من آثاره ﷺ ومقاماته التي لم يكن يقصدها للعبادة في ذلك الموضع كصلاته في أسفاره في أماكن غير معينه، فموافقته فيها من غير قصد لا بأس بها، لكن تتبع ذلك أمر منهي عنه إذ لم يرد ذلك عن أجد من جمهور الصحابة[3].

روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه : (رأى الناس يذهبون مذاهب فقال: أين يذهب هؤلاء فقيل: يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه النبي ﷺ فهم يصلون فيه فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً، فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها)[4]

---

[1] نفسه ص٢٩ –٣٠ نقلاً عن التوسل أنواعه وأحكامه للألباني.

[2] انظر صحيح البخاري، فتح الباري : ج٣ ص٥٤٠ –٥٥٠.

[3] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : ج٥ ص٧٥٣ –٧٥٥ .

[4] نفسه ج٢ ص٧٥٢.

أما ما كان منها قبل البعثة فإن قصدها بعد مبعثه فهذه يقتدي بها كتقبيل الحجر الأسود، وأما ما كان منها، قد تركه كغار حراء وغار ثور ونحوه فإنه يترك، ولا يتعمد قصده، بل إن قصده يُعد ابتداعاً على سنة رسوله الكريم ومنهج خلفائه الراشدين[١].

أما قبره ﷺ فلم يكن أحد من السلف الصالح يقصدون الدعاء عنده،ولا عند قبر غيره من الأنبياء ،وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي ﷺ وعلى صاحبيه[٢].

ثالثاً : موقف الصحابة من آثار الأمم الماضية :

ولنا وقفة قبل أن نختتم كلامنا في هذه الدراسة، نتبين فيها مواقف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من الآثار الباقية للأمم الماضية لنتأسى ونهتدي بها.

١ـ الصخرة التي في بيت المقدس :

هي قبلة اليهود وقد كانت قبلة المسلمين قبل نسخها فلم يبق في شريعتنا ما يوجب تخصيصها بحكم[٣].

وقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه وصلى فيه، ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها ولا يقرب شيئاً من تلك البقاع، وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعتبرين كعمر بن عبد العزيز، والاوزاعي، وسفيان الثوري وغيرهم[٤].

---

[١] نفسه.

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم : ج٢ ص٧٦٢، ٧٦٣.

[٣] انظر اقتضاء الصراط المستقيم : ج٢ ص٨٠٨.

[٤] نفسه : ج٢ ص٨٠٩.

٢ـ كنسية بيت لحم :

هي من كنائس النصارى، وليس في إتيانها فضيلة عند المسلمين سواء كان مولد عيسى عليه السلام بها أو لم يكن.

٣ـ قبر إبراهيم الخليل :

لم يكن في الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان من يأتيه للصلاة أو الدعاء عنده، ولا كانوا يقصدونه للزيارة.

٤ـ الطور :

لا يحل السفر إليه،ولا إلى مسجد غير المساجد الثلاثة [١].

٥ـ قبر دانيال :

لقد عمد الصحابة رضوان الله عليهم إخفاء قبره حتى لا يعرفه العوام فيقصدونه بالعبادة والدعاء مما يؤدي بهم إلى الشرك.

فأصل دين المسلمين أنه لا يختص بقعة بقصد العبادة فيها إلا المساجد والمشاعر خاصة. فهذه المقامات وغيرها لم يأت الشرع الإسلامي بتعظيم شيء منها، فلا يصح قياسها على ما ورد فيها الدليل بالتعبد عندها كمقام إبراهيم عليه السلام، ومنى ومزدلفة وعرفات من المشاعر المقدسة، التي خصت من العبادات بما لا يشركها فيه سائر البقاع[٢].

وختاماً فهذا منهج رسول الله عليه السلام وصحابة رسول الله ﷺ في مواقفهم من الآثار، فعلينا الاقتداء بهم والسير على منهجهم في رحاب الإسلام دين الله عزوجل الخالد بحق، فهو الحق في عقيدته وشريعته وفي آدابه وأخلاقه ومعاملاته وأحكامه وعطاءاته، أنعم الله عزوجل به على بنى الإنسان لينعموا في حياتهم

---

[١] نفسه : ج٢ ص٨١٤.

[٢] انظر نفسه : ج٢ ص٦٨٦.

بخير ما ينعم به الإنسان الفاضل النبيل، فهو عطاء الله عزوجل، أكرمهم به ليكون طريقهم إليه سبحانه وتعالى.

فما ثم طريق يفضي إلى الله الرحمن الرحيم إلا طريق الإسلام دون غيره من الأديان، بعد أن انقلبت ديانات التوحيد شركاً ووثنية وكفراً وضلالات وإلحاداً و فساداً.

لذا فمن استبدل عطاء الله في منهج الإسلام ورحب بعطاء البشر من هتافات الغرب، وتقليد المقلدين لهم وان أسرعت بهم علومهم، تمرغ في أقذار الرذيلة وأوحالها، وقوض صروح الفضيلة ورقيها وأدى به هذا الرفض إلى ما نراه وما نسمع به من الانهيار الخلقي وانتشار القلق المدمر للقيم، وأمن السرائر والنفوس.

فالعلم وحده لن يملأ فراغ الضمائر، وهو من غير دين كارثة على الإنسانية كلها، ومحق للقيم الرفيعة السامية، ولا شك أن كل ما مضى ينطبق على الدراسات الأثرية المادية والانبهار بها وتعظيمها كآية من آيات الصرح العلمي المجرد عن أي منهج ديني صحيح، فهي امتداد لعطاءات البشر في حياة الجاهلية الأولى وإحياء لسننها، موصولة بمظاهر التخلف والرجعية، مشوبة بوثنية العصور القديمة. لا تتفق وسلامة ما شرع الله عزوجل لعباده المؤمنين لإثبات وحدانيته تعالى ذاتاً وصفات وافعالاً.

الخاتمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد.

أهم النتائج التي توصلت إليها على النحو التالي :

١- الآثار هي مخلفات الإنسان من الأبنية والقصور والمعابد والتماثيل.

٢- يهتم علم الآثار بدراسة هذه المخلفات البشرية لإلقاء الأضواء على الحضارات السابقة، والاستفادة منها لتطوير الحياة الحاضرة والمستقبلة.

٣- تدرج مراحل نشأة علم الآثار تدرجاً بطيئاً عبر القرون الماضية، وتدعيمه في وقتنا الحاضر لأهداف غير سامية.

٤- الاعتماد على علم الآثار في مقدمة الطرق العلمية لجمع مادة التاريخ، أمر غير صحيح، لا يقوى أمام العوائق التي تحيق بمصداقيته ونزاهته.

٥- استغناء المسلمين عن علم الآثار بمصادرهم الثابتة الإلهية التي شملت كافة المجالات الإنسانية في توازن متكامل، يجعلهم بالتمسك بها بمنأى عن التخبط والضياع.

٦- علم الآثار ودراسته بأهداف مشبوهة من مكايد الشيطان ومصايده للإنسان التي يجب التيقظ لها والحذر منها.

٧- الطعن والتشكيك في المصادر الإسلامية ثمرة من أهداف علم الآثار الخفية لأيدي الغرب والصهيونية.

٨- تمجيد الآثار وتعظيمها على وجه التقديس، نقيض لصميم التوحيد ،وولاء المسلمين لدينهم.

٩- وحدة الأمة الإسلامية في الإيمان بوحدانية الله تعالى لا في الأرض واللغة والجنس والمصالح والآثار فقط وإنما بهذا الدين الذى أكرمهم الله تعالى به.

١٠- نشر تعظيم الآثار القديمة، دعوة لتفتيت وحدة الأمة الإسلامية، وتفكيك لعراها.

١١- إحياء الآثار الإقليمية من أكبر روافد القومية في البلاد الإسلامية يراد به تفتيت وحدة الأمة.

١٢- تغلغل الغرب في ميادين عديدة ومسالك جمة في أوطان البلاد الإسلامية لتدعيم النعرات العصبية الشعبية.

١٣- وجوب مخالفة سنن الأمم الماضية مخافة الوقوع فيما وقعوا فيه من الشرك والإلحاد.

١٤- التحذير من مشابهة اليهود والنصارى في اعتقاداتهم وعاداتهم المنحرفة عن سواء السبيل.

١٥- الاتعاظ والاعتبار بمصارع الأمم السابقة وآثارها في الأرض، ولا يقتضي الاهتمام والتفاخر بوجودها في البلاد، والتشديد بعظمتها.

١٦- عدم التهاون في السماح بإحياء التماثيل والأوثان، بدعوى التفاخر بمهارة صنعتها أو تلمس أوجه الفنون الجميلة فيها.

١٧- جواز التبرك بذات الرسول ﷺ وآثاره على وجه الخصوص في حياته، وانتفاء أي شيء من ذلك في وقتنا الحاضر لفقدان أي أثر ثابت له.

١٨- جواز التبرك بالأماكن والآثار والمقامات التي قصدها رسول الله ﷺ للعبادة، دون غيرها.

١٩- الإقتداء بمنهج الصحابة رضوا ن الله عليهم من آثار الأمم الماضية، وعدم مخالفتهم فيها.

٢٠- استبدال عطاء الله تعالى في منهج الإسلام والجري وراء عطاءات البشر، في علومها المادية الشركية كعلم الآثار وغيره، كارثة على سمو الإنسانية وعلوها على غيرها من المخلوقات الأخرى.

إننا بما تقدم لانصادر حرية العلماء فى البحث والتنقيب عن الآثار، ولاننكر مالهذا من ايجابيات وانما نحذر مما يمكن أن يمس عقيدة المسلم. وما فى هذا العلم من سلبيات يراد بها المساس بالإسلام والمسلمين.

هذا وأسأل الله جلت قدرته أن يهدينا حسن الصواب والرشاد، وأن يختم بالصالحات أقوالنا وأعمالنا أنه نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين ﷺ

مصادر ومراجع البحث بحسب ورودها فيه

١- القرآن الكريم.

٢- لسان العرب : جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٣- القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة.

٤- دائرة المعارف الحديثة : أحمد عطية الله، مكتبة الانجلو المصرية / ط٢، ١٩٧٥م.

٥- الموسوعة الأثرية العلمية : إشراف ليونارد كوتريل، ترجمة د.محمد عبد القادر محمد ود.زكي اسكندر، الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٧٧م.

٦- تاريخ علم الآثار : جورج ضو، ترجمة بهيج يوسف، منشورات عوديات، بيروت.

٧- مدخل إلى علم الآثار : السير ليونارد دولي، ترجمة : د.حسن الباشا، مراجعة عبد النعم أبو بكر، الإدارة العامة للثقافة لإدارة التربية والتعليم بمصر.

٨- تعظيم الآثار والمشاهد وأثره في الأمة الإسلامية : عبد العزيز عبد الله الجفير، رسالة ما جستير، جامعة أم القرى، فرع العقيدة، ١٤١٦هـ.

٩- الموجز في علم الآثار : د.علي حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، ١٩٩٣م.

١٠- علم الآثار : د. جمال الدين عبد الهادي، د. وفاء رفعت، دار الشروق، جدة.

١١- طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار : طه باقرو ود.عبد العزيز حميد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط، ١٤٠٠هـ.

١٢- الآثار الشرقية : ارنست بايلون، ترجمة مارون عيسى الخوري، دار جروس برس وحكمت شريف، طرابلس، لبنان، ط، ١٩٨٧م.

١٣- دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت.

١٤- المستشرقون : نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ط٤، بدون.

١٥- الإنسان والكون : د.عبد العليم عبد الرحمن خضر، عالم المعرفة، جدة،ط، ١٤٠٣هـ

١٦- خصائص الدعوة الإسلامية : محمد أمين حسن، مكتبة المنار، الأردن، ط، ١٤٠٣هـ

١٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت.

١٨- اقتضاء الصراط المستقيم : شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د.ناصر العقل، مكتبة الرشد، ط٥، ١٤١٧هـ.

١٩- الإسلام والمستشرقون : تأليف نخبة من العلماء المسلمين، عالم المعرفة، جدة، ط، ١٤٠٥هـ.

٢٠- الولاء لدين الله : سيد سعيد عبد الغني، دار طيبة الخضراء، مكة، ط، ١٤١٩هـ.

٢١- قصة الحضارة : ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب، محمد بدران.

٢٢- الولاء والبراء في الإسلام : محمد سعيد القحطاني، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٠٩هـ.

٢٣- في ظلال القرآن : سيد قطب، الطبعة المشروعة، دار الشروق.

٢٤- واقعنا المعاصر : محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٢٥- أضواء على الاستشراق : د.محمد عبد الفتاح عليان، دار البحوث العلمية، القاهرة، ط٤، ١٤٠٠هـ.

٢٦- أفيقوا أيها المسلمون وانظروا ماذا يراد بكم، أحمد الشريف، مكتبة الصحافة، جدة.

٢٧- وجهة الإسلام (نظرة في الحركات الحديثة في العام الإسلامي): تأليف هـ. أ. ر.جب، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المطبعة الإسلامية، القاهرة،ط، ١٣٥٣هـ

٢٨- الإسلام والحضارة الغربية : د. محمد حسن، دار الرسالة السعودية، مكة، ط٩، ١٤١٣هـ.

٢٩- سنن أبي داود : الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث، مكتبة الحلبي، مصر.

٣٠- جامع البيان في تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري، مكتبة البابلي الحلبي، القاهرة، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٣١- فتح الباري : ابن حجر العسقلاني، مكتبة السلفية.

٣٢- جهود الإمامين في دحض مفتريات اليهود : سميرة عبد الله بناني، رسالة ما جستير، جامعة أم القرى، من إصدارات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة، ط، عام ١٤١٨هـ.

٣٣- الكتاب المقدس : دار الكتاب المقدس في العالم العربي، بيروت، ١٩٦٦م.

٣٤- صحيح مسلم بشرح النووي : الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط، ١٣٧٤هـ.

٣٥- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية : محمد طاهر التيز، تعليق محمد الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط، ١٤٠٨هـ.

٣٦- النصرانية من التوحيد إلى التثليث : د. محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق، ط، ١٤١٣هـ.

٣٧- محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون.

٣٨- المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام:د. محمد وصفي، دار الفضيلة، ط، ١٤١٥هـ

٣٩- التعلق المفيد في تحقيق فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : عبد الرحمن حسن آل الشيخ، تعليق إشراف عبد المقصود، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط، ١٤١٢هـ.

٤٠- التبرك المشروع والتبرك الممنوع : د. علي العلياني، دار الوطن للنشر، ط، ١٤١١هـ

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
المبحث الأول: (دراسة تمهيدية عن علم الآثار وصلته بالعقيدة	

الإسلامية) ٥
المطلب الأول: التعريف بعلم الآثار ٦
المطلب الثاني: أهمية علم الآثار عند أصحابه وصلته بالعقيدة الإسلامية ٩
المبحث الثاني: (أبرز الاتجاهات الهدامة في علم الآثار)..... ١٩
المطلب الأول: استبعاد المصادر الإسلامية كوثائق ثابتة للتاريخ البشري وحضارته ٢١
المطلب الثاني: احياء الوثنيات القديمة لصرف ولاء الأمة المسلمة عن دينها وطمس معالم خط التوحيد ٢٨
المطلب الثالث: الدعوة إلى نشوء القوميات والنزعات العصبية ٣٣
المبحث الثالث: (المنهج الإسلامي في تعظيم الآثار والاهتمام بها) ٤١
المطلب الأول: التحذير من مشابهة الأمم الماضية في تعظيم الآثار.... ٤٣
المطلب الثاني: توجيه الأنظار للاعتبار من مصائر الأمم الكافرة، لا يلزم الدعوة إلى تعظيم الآثار وتقديسها ٥٠
المطلب الثالث: الاقتداء بمنهج الصحابة رضوان الله عليهم فى موقفهم من آثار النبي ﷺ وآثار الأمم السابقة ٥٣
الخاتمة ٥٩
ثبت المصادر والمراجع ٦٢
فهرس الموضوعات ٦٦